الإنسان في تعاليم الإسلام، رؤية حقوقيّة مقارنة[1]

عبد الحكيم سليمي[2]

يتّضح من خلال تعاليم الإسلام وتاريخ اجتماع الأديان السماويّة أنّ أيّ تغيير حصل في مجال حقوق الإنسان، مرهون بجهود أنبياء الله عليهم السلام المخلصة، وبالأخصّ نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا كان البعض يتحدّث اليوم عن حقوق الإنسان، فإنّ الإسلام قد أشار إلى ذلك قبل أربعة عشر قرنًا، حيث عمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بكلّ ما أوتي من قوّة على تطويرها.

وقد ذكر القرآن الكريم أنّ من أبرز أهداف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إيجاد الأخلاق والمعنويّات، وإقامة القسط والعدل، والتربية والتزكية، ومواجهة الجهل، وإيجاد الأرضيّة المناسبة للحياة في أجواء الصلح والسلام. ويترتّب على هذه الأمور إحياء حقوق الإنسان وتطويرها، وهدايته نحو كماله النهائيّ. وهذا ما تُشير إليه سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

لكنّ الشائع في الثقافة الغربيّة أنّ الغرب هو منشأ حقوق الإنسان، وأنّ كلّ تطوّر أو تحوّل إيجابيّ في هذا الإطار هو من إبداع الغربيّين! وقد تمّ التغافل عن مسألة حقوق الإنسان في الأديان السماويّة، وبالأخصّ في الإسلام، وعن دور الرسول

---

١. المصدر: المقالة في مجلة الحياة الطيبة التي تصدر عن معهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم العالي للشريعة والدراسات الإسلامية في بيروت باللغة العربيّة، العدد ٣٢، ربيع ٢٠١٥، الصفحات ١٢٧ إلى ١٥٩.

٢. أستاذ مساعد في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في إحياء حقوق الإنسان وتطويرها؛ مع العلم أنّ الأنبياء عليهم السلام هم القادة الحقيقيّون للبشر، وهم حلقة الاتّصال بين قافلة البشر وخالق الكون والإنسان.

ولعلّ من أبرز أهداف أنبياء الله عليهم السلام: تعليم الإنسان وتربيته: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[١]، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٢]، وتحرير الإنسان من الجهل والخرافات: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣]، ورفع النزاعات والاختلافات وإزالتها: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٤]، والإنذار والتبشير: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٥]، وإتمام الحجّة: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ

---

١. البقرة: ١٢٩.
٢. الجمعة: ٢.
٣. الأعراف: ١٥٧.
٤. البقرة: ٢١٣.
٥. الأنعام: ٤٨.

﴿وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[١].

وقد عمل الأنبياء عليهم السلام من خلال تعليم الأحكام الإلهيّة على أن يقودوا المجتمع البشريّ نحو الوحدة، والتعاون، والإيثار، والتفاهم، والحياة الهنيئة السالمة؛ بناءً على المشتركات، وأن يبعدوه -بالتّالي- عن الظلم والاعتداء على حقوق الآخرين.

وسنحاول في هذه المقالة توضيح موقع حقوق البشر في تعاليم الإسلام ودوره في إحياء هذه الحقوق وتطويرها؛ ولكن قبل أيّ شيء، ينبغي الإطلالة -بشكل إجمالي- على أوضاع حقوق الإنسان قبيل البعثة النبويّة الشريفة.

أولًا: أوضاع حقوق الإنسان قبيل البعثة النبويّة الشريفة

تكتسب مسألة التعرّف على أوضاع حقوق البشر المضطّربة قبيل البعثة، أهمّيّة خاصّة، لجهة أنّها تُساعد في توضيح دور الإسلام في تنظيم العلاقات الاجتماعيّة العادلة، وإيجاد الأمن، وإحياء حقوق الإنسان وتطويرها.

ويُشير التاريخ إلى أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندما أُرسل بالرسالة لهداية البشر، كانت الكرامة الإنسانيّة وحقوق الإنسان قد طالها النسيان. وقد ساهم الشرك، وعبادة الأصنام، وفقدان الهويّة الذاتيّة في القضاء على أيّ فرصة للتفكير في هذا المجال، عدا إيجاد التحوّل فيه. فقد كان احترام حقوق الإنسان -آنذاك- فاقدًا لأيّ موقع في الحياة البشريّة. ويُشار إلى أنّ المؤرّخين الذين ركّزوا على الأوضاع المضطّربة لحقوق الإنسان أشاروا - أيضًا - إلى دور الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المحوريّ في إحياء الكرامة الإنسانيّة وحقوق الإنسان.

ويظهر أنّ القرآن الكريم ونهج البلاغة هما المصدران الأكثر ثقة ودلالة في هذا

١. النساء: ١٦٥.

الإطار؛ حيث إنّ الرجوع إليهما يُغني الباحث عن أيّ بحث وتتبّع عن أوضاع حقوق الإنسان في تلك المرحلة، ويُساعده في الاطّلاع على دور الرسول ﷺ في تنظيم العلاقات الاجتماعيّة بشكل عادل، وفي إحياء حقوق الإنسان وتطويرها.

ويُشير القرآن الكريم إلى أنّ الله تعالى، أرسل الرسول ﷺ؛ لأجل هداية البشر، وأمره تعليم الناس أحكام الإسلام، وأن يطلب منهم اتّباع الصراط المستقيم: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]. وقد جاء في آيات قرآنية أخرى ما يُشبه التعاليم المتقدّمة، وتُشكّل الآيات المتقدّمة صورة واضحة عن الحالات، والأخلاق، والحقوق، والعادات المريضة لحياة البشر في زمان البعثة، وتوضّح أنّ من أبرز الآفات التي راجت في تلك المرحلة الآتي: الشرك، وعبادة الأصنام، وعدم احترام الوالدين، وقتل الأبناء، ورواج أنواع القبائح، والتعرّض لأموال الأيتام، والظلم وعدم العدل، وقتل النفس، وعدم الوفاء بالعهود؛ وهي جميعها تُشكّل التعاليم العشرة – التي أكّدت عليها الآيات المتقدّمة –؛ بوصفها جزءًا أساسًا من أهداف دين الإسلام وتعاليمه التي تهدف إلى إحياء حقوق الإنسان وتطويرها؛ وهي:

---

١. الأنعام: ١٥١-١٥٣.

١. إزالة الشرك من العالم (الدفاع عن التوحيد).
٢. إحياء أصل الإحسان إلى الوالدين (الدفاع عن حقوق الوالدين).
٣. حرمة قتل الأبناء؛ لكونها جريمة منكرة (الدفاع عن حقوق الأطفال).
٤. مواجهة القبائح وأنواع الرذائل، ما ظهر منها وما بطن (إحياء حقّ التعليم والتربية).
٥. حرمة قتل النفس المحترمة (الدفاع عن حقّ الحياة).
٦. حرمة الاعتداء على أموال اليتيم (احترام حقّ المالكيّة).
٧. جعل العدل في مقدّمة الحياة البشريّة (العدل هو مبنى الحقوق والتكاليف البشريّة).
٨. جعل القدرات والاستعدادات معيار التكليف (أصل التناسب بين الاستعدادات والتكاليف).
٩. رعاية العدل في القول (العدل هو معيار حرّيّة البيان).
١٠. دعوة الناس إلى عهد الخالق (إحياء أصل الوفاء بالعهد).

إنّ التعاليم العشرة المتقدّمة التي تبدأ بـ«التوحيد»، وتنتهي بأصل «الوفاء بالعهد»، تلعب دورًا خاصًّا في تنظيم العلاقات الاجتماعيّة للبشر؛ لأنّ أصلي التوحيد والوفاء بالعهد من جملة أصول حقوق البشر ومبانيها، وأساس كافّة الحركات الإصلاحيّة في المجتمع البشريّ؛ كما أنّ الشرك وعدم الوفاء بالعهد، يُعدّان منشأ كافّة المفاسد الاجتماعيّة، ومن أبرز دواعي الاعتداء على حقوق الإنسان.

وبناءً على ما تقدّم، فإنّ أكثر الأوضاع سوءًا قبيل البعثة يكمن في شيوع الشرك، ورواج عبادة الأصنام، وأمّا مواجهة هذه الآفّة الكبيرة في النظام

الحقوقيّ الإسلاميّ، فتتمثّل في جعل التوحيد مبنى حقوق الإنسان ومنشأها: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾[١]؛ أي أنّ للحقّ منشأ إلهيًّا، ناشيء عن الإرادة الإلهيّة. و«لعلّ من جملة الأمور الظريفة في الآية أنّه قيّد كلمة الحقّ بـ«مِن» الابتدائيّة؛ أي أنّ الله تعالى، هو مبدأ الحقّ ومنشؤه؛ وليس أنّ الحقّ قرين له. فالحقّ منه بالأصالة، وسريان كافّة الحقوق وسيلانها منه تعالى. فالقرب منه قرب من الحقّ، والبُعد عنه بُعْد عن الحقّ. وأمّا الوصول إلى الحقّ وإحياؤه في الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، فيتطلّب سلوك الطريق الحقيقيّ الوحيد، وهو الطريق الإلهيّ الذي تمّ تعليمه الأنبياء عليهم السلام بواسطة الوحي»[٢].

إنّ تعيين حقوق الإنسان وتكاليفه من الناحية العقليّة يجب أن يكون على أساس السعة الوجوديّة للإنسان، ولا يوجد من هو محيط بالأبعاد الوجوديّة للإنسان سوى خالقه؛ ولذلك يجب أن يكون المعيّن لحقوق الإنسان الحقيقيّة محيطًا به، وعالمًا باحتياجاته، والحقّ يجب أن يصدر من منبع كهذا، وإلّا فإنّ كلّ مبدأ آخر لن يكون مصدرًا حقيقيًّا لأحكام حقوق الإنسان؛ بسبب النقص الذي يعتريه[٣].

اتّضح ممّا تقدّم أنّ فلسفة تشريع الدين وبعثة الأنبياء عليهم السلام غايتها صلاح الإنسان ونجاته من القيود البشريّة، وإحياء الحقوق الإنسانيّة، وإيجاد أسباب الكمال الإنسانيّ؛ فلقد جاء الأنبياء عليهم السلام ليفكّوا البشر من الأغلال الداخليّة والخارجيّة التي تُقيّد الإنسان؛ وهي عبارة عن الأهواء النفسانيّة، وحكّام الطاغوت.

ولعلّ أبرز عبارات في هذه المجال ما جاء على لسان جعفر بن أبي طالب عليه السلام

---

١. آل عمران: ٦٠.

٢. الجوادي الآملي، حقّ وتكليف درإسلام، ١٥٨.

٣. م. ن، ١٨٤.

– وهو المتحدّث باسم المسلمين الذين هاجروا صدر الإسلام إلى الحبشة، وكلماته قبس من تعاليم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم – عندما سأله ملك الحبشة: «ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟ فقال له: أيُّها الملك، كُنّا قومًا أهل جاهليّة، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيء الجوار، ويأكل القويّ منّا الضعيف. فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كُنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نُشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدّقناه، وآمنّا به، واتّبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نُشرك به شيئًا، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا»[١].

لقد كانت عبارات جعفر جذّابة ملهمة، بحيث تركت تأثيرها على ملك الحبشة؛ لذلك وجدناه يُثني على الأفكار التي يحملها المسلمون، على الرغم من مخالفة بعض المحيطين به، فمنحهم الحرّيّة الكاملة. ثمّ إنّه رفض دعوة قريش التي طلبت استرجاع المهاجرين، وأعاد إليهم الهدايا التي أرسلوها إليه رشوةً على ذلك، فقال: «ردّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله منّي الرشوة حين ردّ عليّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه...»[٢].

وقد تحدّث الإمام علي عليه السلام عن أوضاع حقوق الإنسان المضطّربة في عصر

١. ابن حنبل، مسند أحمد، ١: ٢٠١-٢٠٢.

٢. ابن هشام، السيرة النبويّة، ١: ٣٣٨.

البعثة، فقال عليه السلام: «ثمّ إنّ الله بعث محمّدًا صلى الله عليه وآله وسلم بالحقّ حين دنا من الدنيا الانقطاع، وأقبل من الآخرة الاطّلاع، وأظلمت بهجتها بعد إشراق، وقامت بأهلها على ساق، وخشن منها مهاد، وأزف منها قياد، في انقطاع من مدّتها واقتراب من أشراطها، وتصرّم من أهلها، وانقصام من حلقتها، وانتشار من سببها، وعفاء من أعلامها، وتكشّف من عوراتها، وقصر من طولها. جعله الله بلاغًا لرسالته، وكرامة لأمّته، وربيعًا لأهل زمانه، ورفعة لأعوانه، وشرفًا لأنصاره»[1].

ويقول عليه السلام في مكان آخر عن عصر البعثة: «أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجمة من الأمم، واعتزام من الفتن، وانتشار من الأمور، وتلظّ من الحروب، والدنيا كاسفة النور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من ورقها، وإياس من ثمرها. وإغورار من مائها. قد درست منار الهدى، وظهرت أعلام الردى. فهي متهجّمة لأهلها، عابسة في وجه طالبها. ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف؛ فاعتبروا عباد الله»[2].

وبعد أن تعرّفنا بشكل مجمل على ما كانت تُعاني منه البشريّة في عصر البعثة، على مستوى حقوق الإنسان، سنُحاول الإشارة إلى أركان نظام حقوق الإنسان الذي أسّسه الدين الإسلاميّ؛ بهدف بيان الرؤية الإسلاميّة لماهيّة الإنسان وحقوقه وواجباته؛ الفرديّة والاجتماعيّة.

ثانيًا: حقيقة الإنسان في الرؤية الإسلاميّة

بما أنّ «الإنسان» هو موضوع حقوق البشر؛ لذلك كان البحث عن حقيقة الإنسان وماهيّته من الأبحاث الهامّة؛ باعتبار أنّ أيّ موقف تتّخذه عن حقيقة

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨.

٢. م. ن، الخطبة٨٩.

الإنســان، فإنّ ذلك سيؤثّر بشــكل مباشر على أوضاع حقوق البشر، فكلّ فهم للإنسان سيترك أثرًا كبيرًا على تعريف حقوق الإنسان وتوضيحها والدفاع عنها.

وفي هذا الصدد تُطرح أســئلة عدّة؛ من قبيل: ما هو الإنسان؟ وهل الإنسان موجود مادّي وطبيعيّ تتلخّص حياته في دائرة الولادة والموت؟ وهل للإنســان حقيقة وراء المادّة، وأن ليس له حياة محدودة بالعالم المادّيّ؟ وهل يمتلك الإنسان حقًّا أم أنّ عليه تكليفًا؟ وهل تتمكّن البشرية بمفردها من استخراج استعداداتها وقابليّاتها الداخليّة، وإيصالها إلى ثمارها؟ ولماذا يكون الإنســان ذا كرامة؟ وهل كرامة الإنسان أمر ثابت ومســتمرّ؟ وما هي فلسفة حرّيّة الإنسان؟ وهل حرّيّة الإنســان مطلقة أم محدودة؟ وغيرها من الأسئلة التي تستوجب إجابات شافية في مجال بحث النظام القيميّ والحقوقيّ المرتبط بالإنسان.

ورد في القرآن الكريم بحقّ الإنسان أرقى الثناء وأدنى الذمّ. فالإنسان موجود ذو قيمة، ويستحقّ التكريم بذاته. وقد تحدّث القرآن عن الإنسان[١]، وأنّه خليفة الله عــلى الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِــلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢]، وأنّه ذو كرامــة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْــبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[٣]، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[٤]، حيث قال تعالى، جوابًا على اعتراض الملائكة: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٥]، وخلق الإنســان في أحسن تقويم؛ من أجل تكميل أمر الخلافة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي

١. ذُكِرَت كلمة «الناس» في القرآن الكريم ٢٤٠ مرّة، وكلمة «الإنســان» ٦١ مرّة، وعبارة «يا أيها الناس» ٨٤ مرّة.

٢. البقرة: ٣٠.

٣. الإسراء: ٧٠.

٤. البقرة: ٣٤.

٥. البقرة: ٣٠.

أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[١]، وجهّزه بنعمة العقل والإدراك: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٣]، وعلّمه ما لا يعلم: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٤]، وأعطاه نعمة البيان: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[٥]، وفطره فطرةً إلهيّة، وجعله لا يطمئنّ إلا بذكر الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٦]، وإذا نسي الله فقد نسي نفسه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٧]، وبعد انتهاء مراحل خلق الإنسان، قال الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٨].

إنّ الإنسان في هذه الرؤية عبارة عن موجود اختاره الله تعالى،، وهو ذو روح وجسم، باسط سلطته على ذاته وعلى العالم، ويمتلك نعمة العقل والكرامة الإنسانيّة وفطرة معرفة الله، ويتمتّع بقدرات علميّة وعمليّة عالية، وهو مسؤول أمام الله تعالى، عن نفسه.

ومن جهة أخرى -جهة أدنى الذمّ-، الإنسان موجود ظالم جاهل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[٩]، وعجول: ﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ

---

١. التين: ٤.
٢. البقرة: ٢٤٢.
٣. يوسف: ٢.
٤. العلق: ٥.
٥. الرحمن: ٤.
٦. الرعد: ٢٨.
٧. الحشر: ١٩.
٨. المؤمنون: ١٤.
٩. الأحزاب: ٧٢.

عَجُولًا﴾[١]، وطاغي: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾[٢]، وغير شكور: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[٣]، وخصيم: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[٤]، وأضلّ من الأنعام: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٥]، ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٦]، وهو شرّ الدوابّ: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[٧]، وتُبيّن عبارات الذمّ التي ذكرها القرآن الكريم أنّ التكريم الإلهيّ للإنسان؛ إنّما هو بسبب المسؤوليّة والدور الذي يقوم به الإنسان تجاه حقيقة الوجود. فإذا عرف الإنسان أهمّيّة هذا التكريم الإلهيّ، واستعمل النعم الإلهيّة بشكل صحيح، وعمل على إيصال الاستعدادات البشريّة المتعالية إلى فعليّتها؛ عند ذلك يستحقّ المدح والثناء، وإلا فهو يستحقّ الذمّ. والحقيقة أنّ الذمّ والمدح في القرآن الكريم يوضّحان امتلاك الإنسان كافّة الكمالات بالقوّة، ويبقى عليه إيصالها إلى فعليّتها.

بناءً على الرؤية التوحيديّة في الإسلام، فإنّ الإرادة الإلهيّة تجعل الإنسان

---

١. الإسراء: ١١.
٢. العلق: ٦.
٣. الأعراف: ١٧.
٤. يس: ٧٧.
٥. الفرقان: ٤٤.
٦. الأعراف: ١٧٩.
٧. الأنفال: ٢٢.

خليفــة الله على الأرض، وهو مظهر صفاته وكمالاتــه. وأمّا وظيفته فهي إظهار العــدل وإقامته، وإشــاعة الرحمة والمحبّة عــلى امتداد العالم. واســتنادًا إلى هذه الوظائف يُمكن الحديث عن فلسفة نزول الكتب السماوية، وإرسال الأنبياء عليهم السلام الإلهيّين، ويندرج ذلك في إطار إتمام الخطّة الإلهيّة في خلق الإنسان الكامل؛ ليتمّ من خلاله – أي من خلال القدرات البشرية– إيجاد العدل وإعمار الأرض: ﴿لَقَدْ أَرْسَــلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَــدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

ففي التعاليم الإسلاميّة يُعدّ كافّة البشر متساوين، من حيث جوهر الإنسانيّة والحيثيّة الذاتيّة، وقد اهتمّ الإســلام بحرّيّة الإنســان، واحترام حقوقه وكرامته الإنســانيّة. وأكّد على أنْ لا أهمّيّة للاعتبارات والأمور العرضيّة؛ كلون البشرة، والعرق، واللغة والقوم... وأمّا المعيار الوحيد للتمايز فهو التقوى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُــعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُــمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيــمٌ خَبِــيرٌ﴾[2]. من جهة أخرى، فــإنّ طريق الوصول إلى الكمال الإنســانيّ، في ظلّ العمل الحســن، والإيمان الصحيح مفتوح أمام البشر كافّة: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا * وَمَنْ أَحْسَــنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْــلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِــنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيــمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[3]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ

---

١. الحديد: ٢٥.

٢. الحجرات: ١٣.

٣. النساء: ١٢٤-١٢٥.

﴿مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[١].

ومن هذا المنطلق حدّد الإسلام للإنسان حقوقًا وتكاليف، حيث يظهر بعد دراستها والتعمّق فيها أنّ كلّ ما جاء في النظام الحقوقيّ الإسلاميّ، جاء في المنشور العالميّ لحقوق الإنسان لاحقًا.

فبناءً على الرؤية التوحيديّة، إنّ حقوق الإنسان تعتمد على «التكريم الإلهيّ للإنسان»، حيث خلق الله تعالى، الإنسان في أحسن تقويم، ونفخ فيه من روحه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٢]، وكرامة الإنسان وشرفه ناشئان من هذه النسبة، والإنسان موجود منسي إذا كان بعيدًا عن الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٣]. وقد شرّع الإسلام مجموعة من الأحكام توضّح الحقوق والتكاليف في كافّة أبعاد الحياة الإنسانيّة، واعتبرت هذه الشريعة أنّ التقيّد بها أمر إلزاميّ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٤]. وقد أشارت مجموعة من الآيات القرآنيّة الشريفة إلى هذه الحدود[٥].

والحدود عبارة عن الحدود الفاصلة بين الحقوق والتكاليف، والأوامر والنواهي، والحقّ والباطل، والعدل والظلم، والحلال والحرام؛ حيث يكون العمل بها إلزاميًّا؛ من أجل تحقّق المصالح، وسعادة الدنيا والآخرة.

إنّ حقوق الإنسان في التعاليم الإسلاميّة عبارة عن رحمة نازلة من الله تعالى.

---

١. النحل: ٩٧.
٢. الحجر: ٢٩.
٣. الحشر: ١٩.
٤. البقرة: ٢٢٩.
٥. البقرة: ١٨٧؛ النساء: ١٣-١٤.

وينبغي عـلى كلّ فرد من أفـراد البشر، مراعاة حقوق الآخريـن؛ كما طلب الله تعالى. وبعبارة أخرى: تعود جذور احترام حقوق البشر في الإسلام مدار مسألة التكريم الإلهيّ للإنسان[١].

ثالثًا: الحقوق الأساس للإنسان في الرؤية الإسلاميّة

بما أنّه ليس بالمقدور توضيح كافّة حقوق الإنسـان بشـكل مفصّل، سـوف نكتفي بالإشارة إلى أساسيّات حقوق البشر في الرؤية الإسلاميّة:

١. الكرامة الإنسانيّة

يرى الإسـلام أنّ الكرامة الإنسانيّة موهبة إلهيّة؛ كالوجدان والعقل، اللذين هما نعمتان إلهيّتان كبيرتان أعطاهما للإنسان. وقد كان هذا الأمر في بداية الدعوة الإسلاميّة في مرحلة فقدت الكرامة الإنسانيّة موقعها في الحياة الاجتماعيّة للبشر، ثـمّ إنّ الكرامة تمتلك خلفيّـة منطقيّة، وكذلك جذورًا تعـود إلى البعد المعنويّ والروحانيّ عند الإنسـان، على أسـاس أنّ الله تعالى، هو الذي أعطى الإنسـان هذه الكرامة. ويؤكّد الرسول الأكرم ﷺ على أنّ للإنسان نوعين من الكرامة: الكرامة الذاتيّة، والكرامة الاكتسابيّة.

أ. الكرامة الذاتيّة

وهي الكرامة التي يتسـاوى فيها جميع البشر؛ حيث يقول الله تعالى،: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَـا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾[٢].

---

١. الزحيلي، حقوق الإنسان في الإسلام، ٣٠-١٣٤.

٢. الإسراء: ٧٠.

وجاء في آية أخرى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[١]. وورد التأكيد على هذه الحقيقة في آية أخرى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٢].

وأمّا منشأ هذه الكرامة، فهو العلاقة الهامّة والقيّمة بين الله تعالى، والإنسان، والتي أشار إليها القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٣].

بناءً على الآيات الشريفة المتقدّمة؛ فالتكريم الإلهيّ يتعلّق ذاتًا بالإنسان. وبعبارة أخرى: يتجلّى التكريم الذاتيّ الإلهيّ في الإنسان، في الأمور الآتية: لقد جعل الله تعالى، الإنسان خليفة له في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٤]، وأمر الملائكة بالسجود له: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٥]، وجعله الله تعالى، محور الكتب السماويّة ورسالات أنبيائه عليهم السلام: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾[٦]، وسخّر له عالم الوجود: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ

---

١. غافر: ٦٤.
٢. التين: ٤.
٣. ص: ٧٢؛ والإسراء: ٧٠.
٤. البقرة: ٣٠؛ والنور: ٥٥؛ القصص: ٥.
٥. البقرة: ٣٤؛ وص: ٧١-٧٤؛ الحجر: ٢٨-٣١.
٦. آل عمران: ٣-٤؛ والحديد: ٢٥؛ البقرة: ٣٨؛ الإسراء: ٩-١٠؛ المائدة: ٤٤-٤٦.

نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾[١]، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٢]، وجهّزه بنعمة العقل، ليستفيد من المواهب الإلهية أتمّ استفادة: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٣]، وأكرمه بالأخلاق والفضائل الإنسانية: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤].

وعلى هذا الأساس، فالكرامة الذاتيّة الناشئة من التكريم الإلهيّ للإنسان تختلف عن الكرامة الذاتيّة المطروحة في المنشور العالميّ لحقوق البشر؛ حيث إنّ كرامة الإنسان في التعاليم الإلهيّة الإسلاميّة مرهونة لألطاف الله تعالى،، وهذه الكرامة أمانة إلهيّة يجب العمل على حفظها.

ب. الكرامة الاكتسابيّة:

والمقصود منها الكرامة التي تحصل على أثر السعي والعمل المخلص في

١. لقمان: ٢٠.

٢. إبراهيم: ٣٢-٣٤؛ والملك: ١٥؛ النحل: الآيات ١٠-١٦، الإسراء: ١٢؛ النبأ: ١٠-١٦؛ يس: ٧١-٧٣.

٣. الرعد: ٣-٤؛ وآل عمران: ٩٠-٩١.

٤. القلم: ٤؛ وآل عمران: ١٠٤-١١٠؛ المائدة: ٢؛ التوبة: ٧١.

مسيرة «الحياة الطيّبة»، ويعود أساس الكرامة الاكتسابيّة إلى التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١]. وللكرامة الاكتسابيّة مراتب متعدّدة؛ فالكرامة الإنسانيّة من وجهة نظر الرسول ﷺ منشأ حقّ وتكليف. ومن هنا، فالإنسان يمتلك حقّ الكرامة، وعلى المكلّفين الآخرين مدح هذه الكرامة والحفاظ عليها، بالإضافة إلى أنّ الفرد مكلّف - أيضًا - بالحفاظ على كرامة نفسه؛ فلا يجوز له أن يؤدّي بنفسه إلى مواطن الذلّ.

ولو عدنا إلى القرآن الكريم، فإنّ كافّة القوى والاستعدادات الموجودة في وجود الإنسان تقتضي وجود الكرامة. والقرآن الكريم يمتدح الذين لا يبذلون كرامتهم بثمن بخس، وأمّا الذين يتحرّكون في مسير الطغيان، والأهواء، والانحرافات، فهم أشخاص ليسوا فقط فاقدين للكرامة، بل هم مجرمون يستحقّون العقاب؛ بسبب نيلهم من الكرامة الإنسانيّة.

ومن هنا، نرى القرآن الكريم يذمّ فرعون والفراعنة الذين جعلوا الناس صنفين: مجموعة المُمَيَّزين، وغير المُمَيَّزين، والذين غفلوا عن أصل الكرامة العامّ والشامل لجميع البشر.

وبناءً على ما تقدّم، فإنّ كافّة البشر في النظام الحقوقيّ الإسلاميّ يمتلكون الأرضيّة المناسبة للحياة الطيّبة الإنسانيّة، وهم متساوون؛ لجهة امتلاك شروط الكمال الإنسانيّ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[٢].

---

١. الحجرات: ١٣.

٢. القصص: ٤-٥.

٢. حقّ الحياة وآثاره

إنّ الحياة في الرؤية الإسلاميّة من علامات الرحمة الإلهيّة: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]. فالإنسان نفخة من روح الله تعالى،: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٢].

ومن الواضح أنّ رؤية كهذه تضفي على الحياة قيمة واقعيّة، وتعدّها أمانة بيد الإنسان؛ فالحياة ليست فقط حقًّا للأفراد، بل الحفاظ عليها عبارة عن تكليف. ومن جهة أخرى إنّ عبارة «حرمة النفس» في القرآن الكريم، وعنوان «النفس المحترمة» في الفقه الإسلاميّ، يُراد بهما كافّة البشر، والمقصود أنّ نفس كلّ إنسان محترمة؛ لأنّه إنسان، إلا أن يقوم الشخص عن علم وإدراك بالتعرّض لهذه الحرمة. وأهمّ الأحكام المترتّبة على العناوين المتقدّمة؛ هي:

أ. حرمة قتل النفس

المتّفق عليه بين بني البشر احترام دم الإنسان وحرمة قتل النفس؛ حيث اعتبرت الأنظمة الحقوقيّة (الإلهيّة والوضعيّة) أنّ القتل من جملة الجرائم الكبيرة، وقد أولت تعاليم الإسلام أهمّيّة خاصّة لهذا الموضوع؛ حيث أصبح قتل إنسان يُعادل قتل جميع الناس، والعمل على نجاة إنسان من الهلاك بمنزلة نجاة كافّة البشر: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[٣]، حيث تُبيّن الآية الشريفة حقيقة اجتماعيّة وتربويّة تتجلّى في الآتي:

---

١. الروم: ٥٠.
٢. الحجر: ٢٩.
٣. المائدة: ٣٢.

- إنّ الشخص الذي يقتل شخصًا بريئًا هو على استعداد - من الناحية الروحيّة- لغرس أصابعه في دماء أبرياء آخرين، والشخص الذي يُساهم بنجاة آخر هو على استعداد - من الناحية الروحيّة- لممارسة هذا السلوك العاطفيّ مع الأشخاص الآخرين.
- إنّ مصير المجتمع الإنسانيّ مرتبط بعضه ببعضه الآخر؛ فكلّ شخص مؤثّر بما يتناسب مع دائرته الوجوديّة في المجتمع الإنسانيّ، وكما يكون إحياء فرد مؤثّرًا في حياة سائر الأعضاء، فمن الطبيعي أن يكون فقدان فرد مضرّ بكلّ المجتمع. من هنا، نرى أنّ الله تعالى، قد نهى عن قتل الإنسان - من دون إجازة شرعيّة وقانونيّة - بشكل جدّي: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ**﴾[١].

ومن جهة أخرى وصف القرآن الكريم عباد الله الحقيقيّين، بقوله - تعالى -: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾[٢].

وعندما كان قتل الأبناء أمرًا معمولًا به، أكّد القرآن الكريم على منع هذا العمل: ﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾[٣]، ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا**﴾[٤].

وجعل منع قتل الأبناء أحد شروط بيعة النساء للرسول الأكرم ﷺ: ﴿**وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ**﴾[٥]. فكلّ من أراد الحياة مع الرسول ﷺ في المجتمع الإسلاميّ

١. الأنعام: ١٥١؛ وانظر: الإسراء: ٣٣.
٢. الفرقان: ٦٨.
٣. الأنعام: ١٤٠.
٤. الإسراء: ٣١.
٥. الممتحنة: ١٢.

يجب عليه أن يُشجّع على حرمة قتل النفس، وأن يجتنب إراقة الدماء بغير حقّ.

وقد وردت روايات مستفيضة في حرمة قتل النفس، تؤكّد على أنّ الشريعة الإسلاميّة لا تحصر الحرمة -فقط- بخصوص ارتكاب قتل النفس، بل تتعدّاها إلى المعاونة على ذلك، واللامبالاة تجاهه، وإيواء القاتل[١].

ب. منع الانتحار

بما أنّ الحياة في التعاليم الإسلاميّة أمانة إلهيّة، فالإنسان لا يحقّ له الاعتداء على هذه الحياة، لا بل هو مكلّف بالحفاظ عليها؛ فالله تعالى، قد نهى عن الانتحار: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا**﴾[٢].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «من قتل نفسه متعمّدًا فهو في نار جهنّم خالدًا فيها. قال الله - عزّ وجلّ -: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ**﴾»[٣].

ويُروى أنّه أخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن شخص بأنّه سيكون من أصحاب جهنّم، فتعجّب بعض الحاضرين من هذا الكلام؛ لأنّ هذا الشخص من السبّاقين إلى عمل الخير، والحضور في ساحات الجهاد والسياسة. وبعد ذلك جُرِح في إحدى المعارك، ثمّ أقدم على الانتحار؛ ليتخلّص من الآلام التي سبّبها الجرح. فحقّ الحياة ذو قيمة كبيرة بحيث تكون جهنّم من نصيب ذاك الإنسان الذي أقدم على الانتحار، على الرغم من كلّ السوابق التي كانت له في الإسلام[٤].

---

١. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ١٩: ٤٨٣.
٢. النساء: ٢٩-٣٠.
٣. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ١٩: ١٣.
٤. الجوادي الآملي، فلسفة حقوق بشر، ١٨٣.

ج. تشريع القصاص

لعلّ من أبرز أوجه عظمة حقّ الحياة وقيمتها في الإسلام، تشريع القصاص؛ باعتباره جزاءً لقاتل النفس المحترمة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ﴾[١]. وقد أوضحت آيات أخر أحكام القصاص بشكل مفصّل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى﴾[٢]، ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٣].

ويكفي في أهمّيّة حقّ الحياة في الإسلام أن يكون الاعتداء عليها، من وجهة نظر القرآن الكريم، في حكم محاربة الله والرسول ﷺ، ويُجازى المعتدون على أرواح الناس وأموالهم أشدّ الجزاء: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٤]. ويُشير هذا التعبير إلى اهتمام الإسلام الخاصّ بحقوق البشر وضرورة رعايتها.

٣. حقّ المساواة

والمقصود من هذا الحقّ أنّ جميع الناس متساوون أمام القانون، ويجب إجراء القانون عليهم، من دون تبعيض.

---

١. البقرة: ١٩٧.
٢. البقرة: ١٧٨.
٣. المائدة: ٤٥.
٤. المائدة: ٣٣.

وقد أكّدت التعاليم الإسلاميّة على الأبعاد المختلفة لهذه المساواة، حيث نُشير إليها على نحو الإجمال:

أ. المساواة في أصل الإنسانيّة

إنّ أصل المساواة بين البشر في الرؤية التوحيديّة للإسلام هو حقّ أساس؛ وذلك لأنّ الناس جميعًا قد خُلقوا من نفس واحدة: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّه الَّذِى تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّه كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[١]، ومن رجل واحد وامرأة واحدة: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[٢]، وقد وصلت النفخة الإلهيّة بشكل متساوٍ إلى جميع البشر: ﴿**ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ**﴾[٣]، وكافّة البشر يتمتّعون بكرامة ذاتيّة: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾[٤]. وجميع البشر يمتلكون استعداد الوصول إلى السعادة الخالدة، وقابليّة اكتساب الكرامة العالية؛ حيث تُشكّل التقوى المعيار لهذه الكرامة: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[٥].

---

١. النساء: ١.
٢. الحجرات: ١٣.
٣. السجدة: ٩.
٤. الإسراء: ٧٠.
٥. الحجرات: ١٣.

ولقد صوّر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أصل المساواة بشكل جميل، فقال: «أيّها الناس إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد. كلّكم لآدم، وآدم من تراب. إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى»[١].

وعلى هذا الأساس جاء التصريح بأصل تساوي البشر، قبل قرون عديدة من التصريح به في الوثائق الدوليّة، حيث كان مورد اهتمام القرآن الكريم، ويلزم من ذلك المساواة في الحقوق والتكاليف، والمساواة في إجراء القانون.

ب. المساواة الاجتماعيّة

إنّ منشأ المساواة الاجتماعيّة يكمن في المساواة في أصل الإنسانيّة. فجميع البشر هم متساوون في الحقوق الاجتماعيّة في المجتمع الإسلاميّ. وإنّ سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وسلوكه يُمكنهما أن يُشكّلا مصدر إلهام للبشريّة. ولعلّ سلوك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع «زيد بن حارثة» من أبرز نماذج المساواة الاجتماعيّة، حيث كان زيد غلامًا لخديجة عليها السلام، أعطته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الزواج. وكان زيد شديد التعلّق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ حتى إنّه عندما جاء والده ليأخذه من مكّة، خيّره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين البقاء والرحيل، فاختار البقاء إلى جانب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فكان يتصرّف معه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أنّه أحد أبنائه.

فأراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يوضِّح عدم أهمّيّة الطبقة والوضع العائليّ في الأفضليّة؛ فعقد لزيد على زينب حفيدة عبد المطلب. وكان ذلك خلافًا للسنّة الرائجة آنذاك، والتي تمنع الزواج بين الأشراف والطبقة الدنيا. وبهذا العمل تمكّن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من إيصال فكرة المساواة الاجتماعيّة إلى أذهان ذاك المجتمع؛ ليُبادروا إلى إصلاح سلوكهم الاجتماعيّ[٢].

١. المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٣: ٣٤٨.

٢. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣: ٤٠-٤٧.

وأمّا الأنموذج الثاني، الذي يُشير إلى المساواة الاجتماعيّة، فهو زواج جويبر وذلفا. وكان جويبر رجلًا من أهل اليمامة، فاقد الجمال، فقير الحال، ولكنّه، وعلى الرغم من عدم جماله الظاهري، كان يمتلك جمالًا باطنيًّا وروحًا متعالية. فخاطبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في يوم من الأيام، قائلًا: يا جويبر لو تزوّجت امرأة فعففت بها فرجك، وأعانتك على دنياك وآخرتك. فقال له جويبر: يا رسول الله بأبي أنت وأمي. من يرغب فيّ. فوالله ما من حسب، ولا نسب، ولا مال، ولا جمال. فأيّة امرأة ترغب فيَّ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا جويبر إنّ الله قد وضع بالإسلام من كان في الجاهليّة شريفًا، وشرّف بالإسلام من كان في الجاهليّة وضيعًا، وأعزّ بالإسلام من كان في الجاهليّة ذليلًا، وأذهب بالإسلام ما كان من نخوة الجاهليّة وتفاخرها بعشائرها وباسق أنسابها. فالناس اليوم كلّهم؛ أبيضهم، وأسودهم، وقرشيهم، وعربيهم، وعجميهم، من آدم. وإنّ آدم خلقه الله من طين. وإنّ أحبّ الناس إلى الله عزّ وجلّ يوم القيامة أطوعهم له وأتقاهم. فتزوّج جويبر من ذلفا ابنة زياد بن لبيد؛ وهو من كبار الأنصار، فعاش الاثنان معًا حياة هادئة سليمة. وبعد شهادة جويبر في إحدى الغزوات كثر الخطّابون لذلفا، وكثر احترامها[1].

ونُقِل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد زوَّج: «لتتّضع المناكح، وليتأسّوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليعلموا أنّ أكرمهم عند الله أتقاهم»[2].

فلم يسمح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بأن تعود حالة الفخر الجاهليّ، وأن تكون معيارًا للتفاضل الاجتماعيّ.

---

١. الكليني، الكافي، ٥: ٣٤٠-٣٤٣.

٢. م.ن، ٣٤٤.

ج. المساواة في الاستفادة من الطبيعة

تؤكّد التعاليم القرآنية على أنّ الناس متساوون في الاستفادة من النعم الموجودة في الطبيعة، على الرغم من الاختلافات الظاهريّة القائمة بينهم، حيث إنّ الإنسان بما هو إنسان يمتلك حقّ الاستفادة من هذه المائدة الإلهيّة اللامتناهية: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[١].

إنّ خطاب ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ الذي جاء في القرآن الكريم نحو عشرين مرّة[٢]، هو خطاب عامّ، وجامع، ويوضّح - حقيقة - أنّ الإسلام والقرآن لم يُختَصّا بقوم، ولا بجنس، ولا بزمان، ولا بمكان معيّنين. وكما أنّ البشر متساوون في أصل الخلقة، وأنّ الخالق واحد، فإنّ النعم الموجودة في الطبيعة متعلّقة بجميع البشر. فلم يذكر القرآن الكريم أيّ تقسيم، وأيّ شروط للاستفادة من الطبيعة والنعم السماويّة؛ سوى عمل الإنسان وسعيه.

إنّ المساواة الحقوقيّة للأفراد - في الظروف الواحدة المتساوية - من جملة آثار الرؤية الكونيّة التوحيديّة؛ بمعنى أنّ جميع البشر، وبغضّ النظر عن الخصائص الشخصيّة والوطنيّة والتاريخيّة والقوميّة ...، متساوون من ناحية الحقوق والتكاليف.

يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الخصوص: «الخلق أمام الحقّ سواء ...، الناس سواء؛ كأسنان المشط»[٣].

---

١. البقرة: ٢١ - ٢٢.

٢. المكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٦: ١١٧.

٣. المجلسي، بحار الأنوار، ٢٥١:٧٥؛ و٧٨: ٢٤٧.

د. المساواة في تنفيذ القانون

فقد منع الإسلام أيّ نوع من أنواع التبعيض أو الوقوف إلى جانب الباطل في الحكم وفي تنفيذ القانون. وخاطب الله تعالى، الرسول ﷺ: ﴿**فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ**﴾[١]، ثمّ وجّه الله تعالى، أمرًا عامًّا لكافّة البشر: ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ**﴾[٢]، ﴿**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ**﴾[٣]. ومن هنا، فإنّ العدالة التي يتحدّث عنها الإسلام عبارة عن قانون عامّ شامل لجميع البشر: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[٤].

وتُبيّن سيرة الرسول ﷺ أنّ الحفاظ على هذا الأصل سبب سلامة المجتمع والحكومة، والعدول عنه يؤدّي إلى هلاكهما وزوالهما.

ويروى أنّه سَرَقت امرأة من أشراف قريش. فأمر الرسول ﷺ بقطع يدها، عند ذلك دخل بعض الأشخاص على الرسول ﷺ يطلبون منه عدم إجراء الحكم. فخاطبهم الرسول ﷺ، قائلًا: «وإنّما هلك مَنْ كان قبلكم بمثل هذا. كانوا يقيمون الحدود على ضعفائهم، ويتركون أقوياءهم وأشرافهم، فهلكوا»[٥].

فلقد منع الرسول ﷺ التبعيض في إجراء القانون، وقال: «إنّما هلك بنو

---

١. المائدة: ٤٨.

٢. النساء: ٥٨.

٣. الأنعام: ١٥٢.

٤. المائدة: ٨؛ وانظر: النساء: ١٣٥.

٥. النوري، مستدرك الوسائل، ١٨: ٧.

إسرائيل؛ لأنّهم كانوا يقيمون الحدود على الوضيع دون الشريف»[١].

وحُكِمَ على امرأة من بني مخزوم بتهمة السرقة، فحاول أسامة بن زيد التدخّل لمنع إجراء الحكم، فمنعه الرسول ﷺ عن ذلك، وقال: «إنّما هلك من كان قبلكم؛ أنّهم كانوا يُقيمون الحدّ على الوضيع ويتركون الشريف، والذي نفسي بيده لو أنّ فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها»[٢].

ويقول مارسيل بو آزار؛ المحقّق في المركز العالي في جنيف، في هذا الخصوص: «يبرز العالم الإسلاميّ ويشعّ من خلال امتيازين قويّين: الأوّل: الإيمان بالله. والثاني: إنكار أيّ أفضليّة قوميّة وعرقيّة، وتأكيده على المساواة الإنسانيّة. لقد تمكّن الرسول ﷺ من خلال الإعلان عن هذه الأصول، من القضاء بالكامل على العصبيّة القوميّة والعرقيّة للعرب في الجاهليّة، وعلى العصبيّة اليهوديّة، وعلى عصبيّة مشركي مكّة. إنّ أيّ دين لم يُعطِ الإنسان شخصيّته؛ كما فعل الإسلام... لقد كان سلوك رسول الإسلام ﷺ مع اليهود والنصارى سلوكًا أخويًّا... أراد الإسلام إيجاد عالم يعيش فيه جميع البشر - حتى الذين ما زالوا على دينهم السابق - حالة التفاهم والتعاون والأخوّة والمساواة»[٣].

٤. الحريّة

على الرغم من أنّ الوثائق الدولية لحقوق البشر أشارت في بعض الموارد إلى حريّة نوع الإنسان في المنشور العالمي لحقوق البشر[٤]، وميثاق الحقوق

---

١. م.ن.

٢. البخاري، صحيح البخاري، ٨: ٥٧٣.

٣. بوآزار، إسلام وجهان امروز، ٢٠٢.

٤. المواد، ١، ٣، ٥، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠.

المدنية – السياسية[١]؛ إلا أنّ المحاور الأساس لتلك الحريّة تتركّز حول الفردية منها؛ وهذا يعني أنّ الفرد من الإنسان حُرّ في امتلاك العقيدة والبيان، وإجراء المراسم الدينية، تعتمد على أصالة الفرد؛ مع العلم أنّ الحرّية حقّ فردي واجتماعي.

وللحريّة معانٍ مختلفة ومتعدّدة؛ وذلك باعتبار الأبعاد الفلسفيّة والنفسيّة والأخلاقيّة والحقوقيّة، وأمّا عدم الالتفات إلى هذه الحقيقة؛ فيؤدّي إلى مزيد من الخلط في الأبحاث، والمغالطة في الدراسات، ومن أبرز مفاهيم الحرّيّة التي تؤدّي الغفلة عنها إلى سوء قراءة النصوص الدينيّة والإسلاميّة، مفهوما «الحرّيّة التكوينيّة» و«الحرّيّة التشريعيّة».

أ. الحريّة التكوينيّة (الفلسفيّة)

وهي تعني الاختيار المقابل للجبر؛ بمعنى أنّ الإنسان من الناحية التكوينيّة حُرّ في حدود نشاطاته الإراديّة، ولقد أوضح الله تعالى، للإنسان طريقي «الهداية» و«الضلال»: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٢]، وجاء في آية أخرى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾[٣]. أي أنّ الإنسان، وبعد حصول الهداية الإلهيّة، مختار في انتخاب الطريق الذي يريد؛ وذلك انطلاقًا من حرّيّته – في الوقت عينه؛ انطلاقًا من مسؤوليّته –، وتؤدّي هذه الحرّيّة إلى تحمّله الثواب والعقاب الصادرين من حسن سلوكه أو سوء اختياره.

فالحريّة التكوينيّة أو الفلسفيّة في الواقع، هي جوهر الإنسانيّة، ومبنى كرامة

---

١. المواد، ٦-١٣.
٢. الإنسان: ٣.
٣. الكهف: ٢٩.

الإنسان، وسبب امتيازه عن الحيوانات الأخرى. وفي ظلّ هذه الحرّيّة يُصبح للدين والتديّن معنىً، وتتّخذ أعمال الإنسان الإراديّة صفة الأخلاقيّة، وتتّصف بالحسن والقبيح.

ب. الحرّيّة التشريعيّة

المقصود من الحرّيّة التشريعيّة؛ مشروعية كافّة خيارات انتخاب الإنسان وجوازها؛ وذلك في حدود القانون، وليس بشكل مطلق؛ لذلك يُطلق على هذا النوع من الحرّيّة عنوان «الحرّيّة القانونية» أو «الحرّيّة الحقوقيّة»؛ مثال ذلك: الإنسان من الناحية التكوينية حُرٌّ في اختيار العمل الذي يريده؛ لتأمين معاشه، ولكنّ هذه الحريّة التكوينيّة قد تُصبح محدودة من الناحية الشرعيّة؛ فالإسلام على سبيل المثال: حرّم تأمين المعاش عن طريق الاستثمار بالربا؛ وهذا يعني أنّ الإنسان، على الرغم من امتلاكه حرّيّة تكوينيّة في اختيار هذا العمل، ولكنّه يمتلك حرّيّة قانونيّة وشرعيّة.

ومن هنا، كانت الخيارات غير الشرعيّة في التعاليم الإسلاميّة؛ كالمعاملات غير الشرعيّة، فاقدة للاعتبار الحقوقيّ: ﴿**وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[1]، وفي بعض الحالات يؤدّي الإتيان بالخيارات غير القانونيّة إلى العقاب والجزاء؛ فالاعتداء على أموال الغير يؤدّي إلى العقاب. وقد يكون بالإمكان في بعض الحالات منع الأفراد من الأعمال غير القانونيّة عن طريق الإجبار الفيزيائيّ؛ لأنّ الحرّيّة القانونيّة ليست حقًّا مطلقًا. ومن هنا، لا يحقّ للشخص الإتيان بالأعمال غير القانونيّة تحت حجّة وجود أصل الحرّيّة.

---

١. البقرة: ١٨٨.

وممّا لا شكّ فيه أنّ أصل الحرّيّة التكوينيّة الذي هو الاختيار الفلسفيّ المقابل للجبر الفلسفيّ، يتمتّع ببداهة واضحة، بحيث لم يُنكره أيٌّ من المذاهب القانونيّة.

وقد وقع الاختلاف في مسألة الحرّيّة التشريعيّة وحدودها، حيث أشرنا إلى أنّ هذه الحرّيّة ليست مطلقة، بل تقبل التحديد من خلال عوامل عدّة، أبرزها: حقّ الله -تعالى- الذي هو منشأ الحقوق، ومن العوامل المحدّدة لها؛ وهذا يعني أنّ كافّة الحقوق والحرّيّات يُمكن توضيحها والحديث عنها على أساس حقّ الله، وقد أشار القرآن الكريم إلى منع الاعتداء على حقّ الله، ولذلك لا يُمكن للشخص أن يعتمد على الحرّيّة، للفرار من طاعة الله أو للغفلة عن الحقّ الإلهي: ﴿**مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾[1]. كما يُمكن فهم الجهاد الابتدائيّ في ظلّ الدفاع عن حقّ الله: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[2].

ويُعدّ الوصف من الناحية العقليّة تابعًا في أصل تحقّقه لوجود الموصوف، وبما أنّ وجود الإنسان محدود، فإنّ أوصافه الكماليّة؛ كالحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة؛ كلّها أمور متناهية أيضًا. وبناءً على ذلك، فإنّ العامل الأساس لتحديد حرّيّة البشر هو الله تعالى، الذي أعطاه وجودًا محدودًا، وجعل لكلّ شيء قدرًا خاصًّا: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[3]، ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾[4]، ﴿**قَدْ**

---

١. يوسف: ٤٠.
٢. الأنفال: ٣٩.
٣. القمر: ٤٩.
٤. الفرقان: ٢.

﴿جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[١]. ولذلك كان للحرّيّة قدر خاصّ، عيّنه الله تعالى، وحدّده.

وقد بدأ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قبل أربعة عشر قرنًا، وقبل تدوين المنشور العالمي لحقوق البشر، وقبل المحاولات الدوليّة، بمحاربة العبوديّة، وعمل على إعطاء الإنسان الحرّيّة المنشودة.

كما قدّم الإسلام خططًا تُساعد في حرّيّة العبيد، وسعى في ذلك، من خلال عدّة محاولات: أمّا المحاولة الأولى؛ فهي إغلاق المصادر غير الشرعيّة وغير العقليّة للعبوديّة. فعندما كانت العبوديّة جائزة في جميع الحالات، جاء الإسلام ليضع حدودًا لذلك، فشرط العبوديّة بالشروط الحربيّة، حسب ما يراه الحاكم من صلاحيّة. والعبوديّة في هذه الحالات عبارة عن جزاء للمعتدين الذين يُهدّدون الحقيقة والأمان.

ثمّ فتح الإسلام طرقًا متعدّدة لتحرير العبيد، فجعل أحد مصارف الزكاة الثمانيّة متعلّقًا بتحرير العبيد: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٢]، واعتبر أنّ تحرير العبيد من جملة العبادات. وقد فتحت الكتب الفقهيّة والروائيّة بابًا تحت عنوان باب العتق. وكان الأئمّة عليهم السلام السبّاقون في هذا الإطار، حيث كُتب في أحوال الإمام علي عليه السلام أنّه: «أعتق ألفًا من كد يده»[٣]. وكذلك كان علماء الدين يتحيّنون الفرص والمناسبات لتحرير العبيد[٤].

---

١. الطلاق: ٣.

٢. التوبة: ٦٠.

٣. المجلسي، بحار الأنوار، ٤١: ٤٣.

٤. الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ١٦: ٣٢-٣٧.

ويُضاف إلى ما تقدّم أنّ التاريخ هو أصدق دليل على هذا الادّعاء، حيث رفع الإسلام شخصيّة العبد. وكان سلمان وبلال وعمّار وقنبر من جملة العبيد الذين تمّ عتقهم، فأصبحوا من أبرز صحابة رسول الله ﷺ. وبشكل عامّ أوصى الإسلام بحسن التعاطي مع العبيد «استوصوا بالأسارى خيرًا»[١].

يقول أبو عزيز؛ وهو من أعلام قريش الذين تمّ أسرهم في معركة بدر: «منذ أن أوصى الرسول ﷺ بالأسرى، كنّا محترمين بينهم، فلم يُقْبِلوا على الطعام ما لم نشبع»[٢].

وأمّا فيما يتعلّق بحرّيّة العقيدة والفكر والبيان، فينبغي القول: إنّ الإسلام، هو دين الفكر والعقيدة، وقد احتلّت حرّيّة الفكرة والبيان أهمّيّة كبيرة في تعاليم الإسلام، وورد في القرآن الكريم حثّ كبير على التفكير ومدح للمفكّرين والعقلاء، بالإضافة إلى الحرب المستمرّة التي قادها الرسول ﷺ ضدّ أيّ نوع من أسباب العبوديّة الفكريّة، وتحطيم سلاسل القيود العقليّة، وتحريره من الخرافات: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾[٣]، كلّ ذلك شكّل دليلًا واضحًا على هذا الادّعاء.

٥. حقّ التعليم والتربية

إنّ التعليم الصحيح والتربية الصحّيّة من الحقوق الأساس للإنسان. والله – سبحانه وتعالى – في تعاليم الإسلام يُعدّ أوّل مربٍّ ومعلّم للإنسان[٤]. وهذا

١. ابن هاشم، السيرة النبوية، ٢: ٤٧٢.
٢. م.ن، ٦٤٥.
٣. المائدة: ١٠٤؛ وانظر: البقرة: ١٧٠-١٧١.
٤. العلق: ١-٥.

الأمر من جملة افتخارات «العلم» و«التعليم والتعلّم». ويرى الإسلام أنّ التعليم والتربية ليسا حقًّا للإنسان فقط. بل هما فريضة وتكليف.

ولعلّ من أهمّ أهداف أنبياء الله تعالى عليهم السلام -وبالأخصّ نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم - تعليم البشر وتربيتهم: ﴿**هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[١]. ويُستفاد من عبارة ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ أنّ التربية أصل والتعليم فرع لها، وطلب العلم في الرؤية الإسلاميّة، فريضة إلهيّة[٢]. والتعليم والتربية أمران واجبان على المجتمع، وعلى الحكومة تأمين الطرق والوسائل إلى ذلك الأمر... ومن حقّ كلّ إنسان السعي فيما من أجله التربية والتعليم، ومن حقّه على المؤسّسات والدولة أن توفّر له ما يؤدّي إلى تربية شخصيّته؛ بشكل يساهم في زيادة إيمانه بالله تعالى[٣].

ولعل من أبرز افتخارات رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم تعميم التعليم والتربية. فلقد عمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على وضع إمكانيّات النموّ والتطوّر والتحصيل العلميّ في متناول أيدي الجميع، بحيث إذا رغب أيّ شخص في الوصول إلى الكمال يُمكنه ذلك، مهما كانت الطبقة التي ينتمي إليها.

ولقد أصبحت هذه المسألة حقيقة واقعيّة في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بعد انتصار المسلمين في معركة بدر، حيث كان من بين أسرى المشركين من يعرف القراءة والكتابة، فأعلن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حينها عن تحرير كلّ أسير يقوم بتعليم عشرة من أطفال الأنصار. وقد ساهم هذا الأمر في تعلّم عدد من أطفال المسلمين، وكان

---

١. الجمعة: ٢؛ وانظر: آل عمران: ١٦٤.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، ١: ١٧٢؛ ٢٦: ٢٨-٢٩.

٣. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، المادّة ٩، بنود أ - ب.

من جملتهم: زيد بن ثابت، الذي تعلّم القراءة والكتابة على أيدي الأسرى[١]. وفي هذه المحاولة أظهر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اهتمامًا واضحًا بالتعليم والتربية، وبتحرير الأسرى، حيث يُمكن أن تكون هذه الحالة مصدر إلهام للبشر على مرّ العصور.

وخاطَب الإمام الصادق عليه السلام حسّان المعلّم، قائلًا: «أن يكون الصبيان عندك سواء في التعليم. لا تُفضّل بعضهم على بعض»[٢].

وأمّا الذين يعدّون التعليم أمرًا طبقيًّا، فلن تكون لهم عاقبة حسنة؛ طبق الرؤية الإسلاميّة. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف، ولا يرى له في المساكين وضعًا، فذاك في الدرك الثالث من النار»[٣]. فالتعليم والتربية في تعاليم الإسلام حقّان أساسان للبشر، ويتمتّعان بمنزلة متعالية.

النتيجة

لقد طُرِحَت مسألة حقوق الإنسان منذ قديم الأيام، وفضل السابقة فيها يعود إلى عهد بعيد من تاريخ البشر. وأمّا الهدف من طرح هذه المسألة، فهو تأمين الحدّ الأقلّ من حقّ حرّيّة الأفراد، ومواجهة تعثّر الحكومات والسلطات المختلفة في هذا الخصوص. ويُمكن القول بوضوح: إنّ مسألة حقوق الإنسان ليست ظاهرة غربيّة، وليست محصولًا للحضارة الغربيّة، بل حقوق الإنسان هي ثمرة جهاد أنبياء الله عليهم السلام والمصلحين الاجتماعيّين وعملهم وجهدهم.

إنّ جذور حقوق الإنسان تعود إلى الدين، وإلى الكتب السماويّة، وبالأخصّ

---

١. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢: ٢٢.

٢. الكليني، الكافي، ٥: ١٢١.

٣. الصدوق، الخصال، ٣٥٢-٣٥٣.

إلى القرآن الكريم. وأمّا الحقوق الأساس التي جاء الإعلان العالميّ لحقوق البشر على ذكرها؛ أمثال: الكرامة الإنسانيّة، وحقّ الحياة، وحرّيّة الفكر والبيان، وحقّ المساواة، وحقّ التعليم والتربية... فقد ذكرها الإسلام قبل قرون عديدة على صدور ذاك الإعلان.

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. نهج البلاغة.
٣. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، بيروت، دار صادر، لا ت.
٤. ابن سعد، محمد أبو عبد الله، الطبقات الكبرى، بيروت، ١٤٠٥هـ.ق.
٥. ابن هشام، محمد، السيرة النبويّة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م.
٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، بيروت، دار القلم، ١٤٠٧هـ.ق.
٧. بوآزار، مارسيل، إسلام وجهان امروز، ترجمه إلى اللغة الفارسية: مسعود محمدي، طهران، دفتر نشر فرهنگ إسلامي، ١٣٦٩هـ.ش.
٨. الجوادي الآملي، عبد الله، حقّ وتكليف در إسلام، قم المقدّسة، مركز نشر إسراء، ط٢، ١٣٨٥هـ.ش.
٩. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٦، ١٤١٢هـ.ق/ ١٩٩١م.
١٠. الزحيلي، محمد، حقوق الإنسان في الإسلام، بيروت؛ دمشق، دار ابن كثير، ط٢، ١٤١٨هـ.ق/ ١٩٩٧م.
١١. الصدوق، محمد بن علي (ابن بابويه): الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، ١٤٠٣هـ.ق/ ١٣٦٢هـ.ش.
١٢. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، بيروت، مؤسّسة الوفاء، ط٢، ١٤٠٤هـ.ق/ ١٩٨٤م.

١٣. المكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ط٢، ١٣٧٨هـ.ش.
١٤. النوري، حسين، مستدرك الوسائل، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.ق/ ١٩٨٨م.